النظم الإدارية والاقتصادية في الدولة القرخطائية

(٥١٩ : ٦٠٨هـ/١١٢٥ : ١٢١١م)
الباحثة/ أميرة فاوي عسر تغيان
إشراف
الأستاذة الدكتورة/نعمة على مرسي

الملخص:

تسلط الدراسة الضوء على النظم الإدارية والاقتصادية للدولة القرخطائية، التي ظهرت في الصين قبل أن تنتقل إلى تركستان الشرقية وبلاد ما وراء النهر. بدأ الحكم في الدولة بطابع بدوي، ولكن انتقالها إلى تلك المناطق ساهم في تحقيق تقدم حضاري ملحوظ، حيث استطاعت الدولة دمج عناصر حضارية متنوعة تحت حكمها.

من الناحية الإدارية، اعتمدت الدولة نظام حكم وراثيًا، مع إمكانية اختيار وريث آخر في حالات استثنائية، تميّزت الإدارة بالتنظيم والهرمية، حيث قسمت المراتب الوظيفية إلى تسع درجات شملت الوزراء وقادة الجيش والمسؤولين، وكان لقب "كورخان" يُمنح للحاكم الأعلى.

أما من الناحية الاقتصادية، فكانت الزراعة النشاط الأهم، حيث استفادت الدولة من وفرة المياه وخصوبة التربة، وعُرفت تركستان وبلاد ما وراء النهر بكونها مناطق زراعية غنية، زُرعت فيها الحبوب والفواكه والخضروات بأنواعها، كما ابتكرت طرق ري متقدمة اعتمدت على الأنهار والقنوات، مما ساعد على استدامة الإنتاج الزراعي.

كما لعبت الصناعة أحد الأعمدة الاقتصادية للدولة، فقد برع القرخطائيون في صناعة الحرير، التي كانت من أفضل الأنواع عالميًا، إضافة إلى صناعة الخزف والمعادن، كان استخراج المعادن، مثل الذهب والفضة والحديد، نشاطًا بارزًا، حيث استُخدمت لتلبية احتياجات الدولة وتصنيع الأدوات والأسلحة.

كما لعبت التجارة دورًا مركزيًا في اقتصاد الدولة، خاصة وأنها كانت تقع على طريق الحرير، ما أتاح لها التبادل التجاري مع دول أخرى، شملت الصادرات منتجات زراعية، كالقطن والحرير، إضافة إلى الفرو والمواشي، كما كانت العملات متنوعة، وشملت

عملات معدنية مصنوعة من الذهب والفضة، وعملات ورقية مصنوعة من قشور شجرة التوت.

واستطاعت الدولة القرخطائية تحقيق التوازن بين التوسع الجغرافي والتطور الحضاري، مما جعلها نموذجًا للتفاعل بين الثقافات وتحقيق التنمية في العصور الوسطى.

الكلمات المفتاحية: الدولة القرخطائية – النظم الإدارية – النشاط الاقتصادي– الزراعة – الصناعة.

Abstract:

The study highlights the administrative and economic systems of the Qara-Khitai state, which originated in China before transitioning to Eastern Turkestan and Transoxiana. Initially, the state had a nomadic character, but its move to these regions contributed to significant cultural and civilizational advancements, allowing the state to integrate diverse cultural elements under its rule.

From an administrative perspective, the state adopted a hereditary governance system where the eldest son inherited the throne, with the possibility of choosing another heir in exceptional cases. The administration was distinguished by its organization and hierarchy, dividing functional ranks into nine levels, including ministers, army leaders, and officials.

Economically, agriculture was the most prominent activity, benefiting from abundant water resources and fertile soil. Eastern Turkestan and Transoxiana were known for their agricultural richness, with various grains, fruits, and vegetables cultivated. Advanced irrigation methods relying on rivers and canals were developed, ensuring sustainable agricultural production.

Industry also served as one of the state's economic pillars. The Qara-Khitai excelled in silk production, which was among the finest globally, in addition to ceramics and metalworking. Mining activities, such as extracting gold, silver, and iron, were notable, as these resources were used to meet the state's needs for tools and weaponry.

Trade played a pivotal role in the state's economy, especially given its strategic location on the Silk Road, facilitating international and regional trade exchanges, Currency systems were diverse, including metallic coins made of gold and silver, as well as paper currency crafted from mulberry tree bark

Through these administrative and economic systems, the Qara-Khitai state successfully balanced geographic expansion with civilizational development, making it a model for cultural interaction and sustainable growth during the medieval period.

Keywords: Qara-Khitai state - administrative systems - economic activity - agriculture - industry.

أولًا: النظام الإداري للدولة القرخطائية

كانت الدولة القرخطائية بدوية الطابع في بداية عهدها في الصين، ولكن هجرتها إلى تركستان الشرقية(١) كانت سببًا في تقدمها الحضاري، هذا الانتقال أعان على التقريب بين العناصر الحضارية المختلفة المتعايشة تحت ظلهم.

ويمكن الإشارة إلى أهم الملامح العامة لإدارة الدولة القرخطائية على النحو التالي:

١- نظام اعتلاء العرش

كان نظام اعتلاء العرش أو سُدّة الحكم في الدولة القَرَخطائية نظامًا وراثيًا، حيث كان الابن الأكبر يرث أباه ما لم يكن هناك مانع يحول دون ذلك، وفي حال وجود مانع يعهد الأب إلى ابن آخر بولاية عهده من بعده، كما لم يكن للبنات حظ يُذكر في هذا الأمر إلا في ظروف استثنائية خاصة، ولما كان المغول(٢) والترك(٣) يولون المرأة اهتمامًا كبيرًا، فقد ظهرت لدى كل منهما فكرة السماح لزوجة الخان(٤) المتوفى بالوصاية على ابنها القاصر في ولاية العهد حتى يكبر، ولها بهذه الصفة الحق في إدارة جميع شؤون الدولة.

وقد ظهرت هذه المسألة بشكل واضح عند وفاة الكورخان الأول عام (٥٣٧ هـ / ١١٤٣ م) (٥)، حيث لم يكن ابنه قد بلغ السن القانوني للحكم، فقامت أمه باعتلاء عرش البلاد كوصية، ولكن هذه المرأة غلبتها شهواتها فأعدمت مع من كان مرتبطاً بها، وانتهى الأمر إلى تولي أحد أشقاء الكورخان باعتباره وصياً على العرش(٦)، هذا يؤكد على أحقية ابن الكورخان(٧) المتوفي في خلافة أبيه في اعتلاء العرش.

---

(١) تركستان: اسم جامع لجميع بلاد الترك، ومستقر نشأتهم الأولي الموطن الأصلي في آسيا الشرقية، وتمتد مساحتها من نهر سيحون غربا حتى الحدود الغربية للصين وصحراء جوبي المغولية شرقا، ومن شمال التت جنوبا إلى حدود سيبيريا شمالا(ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٣٩٧ه/١٩٩٣م ج٢، ص ٢٣؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت – لبنان، د.ت، ص ٥١٤؛ صبري عبد اللطيف سليم: قيام دولة القراخطاي في تركستان(٥١٨ه/١١٢٣م – ٥٣٧هـ/١١٤٢م) العدد السابع عشر رئيس التحرير حسام البهنساوي جامعة الفيوم، كلية دار العلوم، ١٤٢٨ه/٢٠٠٧م، ص ٦).

(٢) المغول: هم المغال والمنغووا قبائل تركيا سكنت قرب نهر أو نون (ابن فضل العمري: مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج ٣، د.ت، ص ٩٣؛ سعاد الطائي: دراسات في تاريخ الترك، دار عدنان، ٢٠١٥، ص ٣٢).

(٣) الترك: هم طائفة من طوائف الكفار في المشرق ورد اسم جماعة منهم في الحديث يقال لهم بنو قنطور ووضعهم كان وجوههم المجان المطرقة، كما يتصفون بالبأس والجراءة والإقدام وحسن الطاعة، (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤٧).

(٤) الخان: هو لقب يطلقه الأتراك على ملوكهم (ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة، بيروت– لبنان، د. ت، ص ٤٧٢؛ السيرافي: رحلة السيرافي، تحقيق عبد الله الحبشي، ط ١، أبو ظبي – الإمارات، المجمع الحقاني، ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩ م، ص٥٢).

(٥) الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٥ه/ ١٩٨٥م، ج٢، ص٤٥٣؛ الذهبي: شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، سير إعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرحالة، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ه/١٩٨٣م، ج٢٠، ص١٢٧، ١٢٨.

(٦) صبري عبد اللطيف: قيام القراخطاي في تركستان (٥١٨ه-١٢٣م/٥٣٧ه/١١٤٢م)، ص ٣٠، ٣١.

(٧) كورخان أو قرخان: هو لقب الخطائيين الأكبر ومعناه ملك الملوك أو خان الخانات(الصدر الشهيد: شرح الجامع الصغير، تحقيق صلاح عواد جمعه وعبد الله الكبسي وخميس دحام على مضخة الزويعي وحاتم عبد الله شويش العيساوي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، د. ت، ص ١٩؛ الراوندي: راحه الصدور وآية السرور، ترجمه إبراهيم أمين الشواربي وعبد المنعم محمد حسنين وفؤاد عبد المعطي الميلد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة – مصر، ١٤٢٥ه/٢٠٠٥ م، ص ٢٦٢؛ أبو الهجاء: تاريخ أبو الهجاء، تحقيق صبحي عبد المنعم محمد، ط١، دار الصالحين القاهرة – مصر، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣م، ص ٢٠٢).

٢- الألقاب

أضاف المؤرخون الصينيون إلى القرخطائية، وفقًا للأعراف المتّبعة لديهم، أسماء لسنوات الحكم، حيث لا تُذكر الأسماء الشخصية لملوك الصين في السجلات التاريخية، بل يُطلق اسم خاص على كل فترة حكم ويُعرف هذا الاسم بسنوات الملك، وتُضبط به الأحداث التاريخية، وكان لقب "كورخان" الذي أُطلق على زعماء القرخطائية بعد انتقالهم إلى تركستان لقبًا ملكيًا عامًا، كما أشرت سابقًا، وقد عُرف هذا اللقب عند المغول والمسلمين، غير أن هذا الاسم لم يظهر قبل القرخطائية ولا بعدهم، إذ انفردوا به، ولا يزال أصله ومنشؤه لغزًا لم يُحل (١).

٣- مراتب الأمراء والوزراء والكتاب

ذكر رشيد الدين الهمذاني(٢) مراتب أمراء القرخطائية ووزرائها وكتابها والقواعد والأنظمة على النحو التالي:

يطلق على الأمراء العظام الذين يشقون طريقهم إلى النيابة والوزارة لقب چينكانك، ويقال لأمير الجيش "طايفو" ولأمير التومان "ونكش" وللأمراء والوزراء ونواب الديوان الذين يكونون من التازيك والقرخطائية والأويغور "فنچان"، وجرت العادة على أن يكون في الديوان الكبير أربعة (چينكانك) من الأمراء العظام، وأربعة فنجان من الأمراء الكبار من الأقوام المختلفة كالتازيك والقرخطائية والأيغور(٣) وكبار المسيحين، ولهؤلاء أيضًا نواب في الديوان، ومناصب الأمراء والحكام بحسب المراتب هي:

المرتبة الأولى: جيناكنك، وهي لمن كانت لهم الوزارة والنيابة.

المرتبة الثانية: طايفو، وتكون لأمير الجيش ومهما يكن منصبه كبيراً فإن عليه أن يرجع إلى چينكانك.

المرتبة الثالثة: فنچان، وتكون لنائب ووزير الديوان من أهل الأقوام المختلفة.

المرتبة الرابعة: يوچينك(٤).

المرتبة الخامسة: زوچينك.

المرتبة السادسة: سم چينك.

المرتبة السابعة: سمى.

---

(١) صبري عبد اللطيف: قيام دوله القراخطاي، ص ٣٢، ٣٣، ٣٤

(٢) جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قا آن إلى تيمور قا آن، ترجمة فؤاد عبد المعطى الصياد، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، د.ت، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٣) الأيغور: شعب تركي ذو ديانة بوذية وانسطورية، يسكن بلاد باشبالغ وتروكان وقراشهر وقونتشا(ابن خلدون: الخبر عن دولة التتر، تحقيق أحمد العمراني، ط١، دار الفارابي للنشر، بيروت – لبنان، ١٤٣٣/٢٠١٣م، ص ١٤٩).

(٤) الهمذاني: المصدر السابق، ص ٢٧٦.

المرتبة الثامنة: لنچون.

المرتبة التاسعة: غير معروفة الكتاب جميعاً مرؤوسين له(١).

٤- الوزير

كان الوزير يتصدر النظام الإداري في الدولة، إذ كان مسؤولًا عن إدارة دواوينها التي تتولى تنفيذ المهام الأساسية بمختلف شؤونها المالية والإدارية والعسكرية، ومن بين هؤلاء الوزراء برز الوزير المسلم محمود باي، الذي ارتبط اسمه بحدثين مهمين:

أولهما أن كورخان القرخطائية أوفد في عام (٦٠٦هـ/١١٢٩م) رسولًا إلى السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، بسبب تأخره في دفع الأموال المقررة عليه للقرخطائية، وقد تحدث هذا الرسول مع السلطان بلهجة شديدة قد تصل إلى حد التهديد، غير أن السلطان تغافل عن الأمر لانشغاله بالاستعداد لمحاربة القبجاق الأتراك في الشمال، وترك مسألة الوزير محمود باي والوفد المرافق له لوالدته تركان خاتون(٢)، التي أمرت بإكرامهم وتسليم الأموال إليهم، كما أرسلت مع الوزير بعض أعيان دولتها لتقديم الاعتذار إلى كورخان عن التأخير، لكن الوزير محمود باي أدرك نواياهم الحقيقية، وأخبر الكورخان عن أحوالهم، محذرًا من أنهم لن يدفعوا شيئًا بعد الآن، غير أن الكورخان لم يعر الأمر اهتمامًا(٣).

أما الحدث الثاني فيكشف عن مدى الثراء الذي بلغه الوزير، وحرصه الشديد على أمواله، إذ بعد هزيمة جيش القرخطائية أمام جيش السلطان علاء الدين خوارزم شاه عام ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م، تغيرت نظرة العامة والأمراء إليه، ونفرت منه نفوسهم(٤).

إدارة المدن التابعة:

التزم القرخطائية بأنماط محددة في الإدارة المدنية، متأثرين في ذلك بأساليب الإدارة الصينية التي جلبوها معهم إلى تركستان وبلاد ما وراء النهر، وقد تجلّى هذا التأثر في اعتمادهم اللغة الصينية كلغة رسمية في دواوينهم، واستخدامهم الأختام لختم الوثائق الرسمية الصادرة عن الكورخان أو نوابه، كما أطلقوا لفظ "بايزة" على العلامة المميزة لموظفي الإدارة(٥).

وقد اعتمد نظام إدارة المدن التي خضعت لحكم القرخطائية في تركستان ثم بلاد ما وراء النهر على عده رسائل مهمة منها:-

(١) الهمذاني: المصدر السابق والصفحة.

(٢) تركان خاتون: هي زوجه السلطان سنجر وابنه محمد أرسلان خان صاحب بلاد ما وراء النهر (الراوندي: راحه الصدور، ص٢٦٣-٢٦٤)

(٣) بارتولد: تركستان، ص٥١٩؛ صبري عبد اللطيف: قيام دولة القراخطاي، ص٣٦، ٣٧.

(٤) بارتولد: المرجع السابق والصفحة ؛ صبري عبد اللطيف: المرجع السابق والصفحة.

(٥) بارتولد: المرجع السابق والصفحة؛ صبري عبداللطيف: المرجع السابق والصفحة.

١- الحكم الذاتي:-

لم يرَ كورخان القرخطائية، بحذاقته وذكائه، أهمية للتدخل المباشر في نظام الإدارة الداخلية للمدن الخاضعة له، واكتفى بإلزام حكّام هذه المدن بارتداء حزام فضي في أوساطهم كعلامة على الإذعان لسلطته.

وقد كان المقصود بالحكم الذاتي هو الإبقاء على الحكّام السابقين للمدن المفتوحة في مناصبهم(١) التي كانوا يشغلونها قبل خضوع مدنهم للقرخطائية، وبناءً على ذلك، استمر الحكّام من الأسرة القراخانية في مناصبهم، كما بقي رؤساء القبائل في مواقعهم.

ولم تخرج عن هذه القاعدة سوى حالتين استثنائيتين، أولهما مدينة بلاساغون(٢) التي اتخذها القرخطائية عاصمة لهم، حيث ألغى كورخان القرخطائية حكم الخان القراخاني وتولى إدارة المدينة بنفسه، أما الاستثناء الثاني فكان في تعيين الأمير الخوارزمي أتمتكين بن الأمير بيا باني، ابن أخت السلطان أتسز خوارزم شاه(٣)، نائبًا عن الكورخان في مدينة بخارى(٤) بعد معركة قطوان(٥)، ويُرجّح أن هذا التعيين جاء إكرامًا لأتسز الذي أبدى تعاونًا مع القرخطائية(٦).

ومن الجدير بالذكر أن الكورخان، رغم كونه رجلًا وثنيًا، أحسن معاملة المسلمين، ويتضح ذلك من قراره بعزل أتمتكين بعد أن فسد حكمه، فانتقل حكم بخارى من رئيسها المعروف بلقب "صدر جهان" أي "صدر العالم" إلى الكورخان مباشرة.

---

(١) صبري عبد اللطيف: قيام دولة القراخطاي، ص ٤٢، ٤٣.

(٢) بلاساغون: هي بلده من ثغور الطرق نهر سبجون قريبون من كشغر خرج منها جماعه من الأئمة والعلماء منهم أبو عبد الله محمد بن موسى البلاساغوني(السمعاني: الأنساب، تعليق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الفاروق الحديثة للنشر، القاهرة – مصر، م ٢، ج٢، ١٤٣٧ هـ/٢٠١٦ م، ص ٣٨٠ ؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت – لبنان، د.ت، ص ٣٧٤؛ مؤلف مجهول، التاريخ السري للمغول، ترجمة سهير ذكار، دمشق – سوريا، ١٤٣٢ه /٢٠١١م، ص ١٩١).

(٣) اتسز: واحيانا تكتب اطسز وفي بعض المصادر اقسيس وهو غير صواب، هو اتسز ابن أوق الخوارزمي مقدم الأتراك واتسز كلمة تركية(ليس معه فرس) أحد أمراء السلطان ملك شاه على دمشق من الأتراك وقطع منها دعوة الخلفاء الفاطميين وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وستة اشهر واحدى وعشرون يوما وقتل في إحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر عام ٤٧١ ه (ابن ميسر: المنتقي في أخبار مصر، تحقيق ايمن فؤاد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة – مصر، د.ت، ص٤٢ ؛ ابن العبري: المختصر، ص٣٧٤ ؛ النسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي، تحقيق حائط أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، ١٤٧٣ هـ/١٩٥٣ م، ص٣٤).

(٤) بخارى: مدينه عظيمه بما وراء النهر، تحيط بها القصور والبساتين والقرى، كثره الأشجار والثمرات والخيرات، لها قلعه حصينه ونهر يشق ربطها، روى عن حذيفة بين اليمان عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ستفتح مدينه خلف نهر يقال له جيج، يقال لها بخاري، محفوفه بالرحمة ملفوفه بالملائكة، منصور أهلها، فتحها قتيبه بالمسلم الباهي (رضي الله عنه) عام ٨٩ ه، وقد خرج منها الكثير من العلماء. (الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، م١، ١٤٢٢ه/٢٠٠٢م، ج١، ص ٤٩٣، ؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٠٩، ٥١٠ ؛ شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق أغسطس بن يحي، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، مدينة بطربرغ، ١٢٨١هـ/١٨٦٥م، ص ٢٢٣ ؛ ابن الوردي: خريدة العجائب وخريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، -مصر، ١٤٣٨هـ/٢٠٠٨م، ص ١٢٤).

(٥) قطوان: هي قريه من قرى سمرقند على مسافة خمسة فراسخ منها(الصدر الشهيد: شرح الجامع، ص ٢٢ ؛ النظامي العروضي السمرقندي: جهار مقالة، ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيي الخشاب، ط١، مطبعة الخنسا للنشر، القاهرة – مصر، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص ١٠٧، ١٠٨؛ ياقوت الحموي: المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، عالم الكتب، ط ٢، بيروت – لبنان، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م، ص ٣٥٣).

(٦) صبري عبد اللطيف: قيام دولة القراخطاي، ص ٤٢، ٤٣.

كما ظل حكم سمرقند(١) في أيدي الكورخانيين، ولم يُعزلوا عنها بعد أن قبلوا الخضوع للقرخطائية ووافقوا على دفع الضريبة(٢).

٢- الشحنة

كانت "الشحنة" عبارة عن حامية عسكرية صغيرة(٣) مكوّنة من مجموعة من جند القرخطائية، يرأسها قائد ذو رتبة عسكرية يعيّنه الكورخان ويرسله مع هذه الشحنة إلى إحدى المدن الكبرى الخاضعة لنفوذه، وكان الغرض من هذه الشحنة مراقبة تصرفات حاكم المدينة(٤)، وأحياناً تولّي جمع الضرائب المقرّرة، بالإضافة إلى كونها وسيلة اتصال بين الحاكم المحلي والكورخان، وكان على رئيس الشحنة، بحكم موقعه، أن يرفع تقارير دورية عن أوضاع المدينة مشفوعة برأيه الخاص.

وقد أرسل الكورخان عددًا من هؤلاء "الشحاني" إلى مختلف أطراف تركستان وبلاد ما وراء النهر، من طراز غربًا إلى برسخان شرقًا، ومن إيميل شمالًا إلى ختن جنوبًا، غير أن هؤلاء الشحاني لم يلتزموا بالمهام الموكلة إليهم، بل تمادوا في التدخّل في شؤون المدن وأعمال الحكّام، مما أدّى إلى تصاعد التوترات، وانتهى الأمر بثورات قامت ضد الشحنة، ثم ضد كورخان القرخطائية نفسه(٥).

٣- الضرائب:

تُعد الضرائب من أبرز رموز السيادة في الدولة، فهي جزء مستقطع من دخل الأفراد أو المؤسسات يُحصَّل وفق نظام محدد، ويُؤدَّى مقابل الحماية، المتمثّلة في الأمن، والرعاية، المتمثلة في تقديم الخدمات(٦)، وبهذا المفهوم تمثل الضرائب نمطًا من العلاقة التاريخية بين الحاكم والمحكوم، وبين القوي والتابع، والمسيطر والضعيف، ويمكن القول عمومًا إنه لا وجود لدولة دون نظام ضريبي، وإن اختلفت المسميات والأساليب من دولة إلى أخرى، وكان من عادات ملوك القرخطائية أن يفرضوا الضرائب على البدو الذين يعيشون خارج السور العظيم، إلا أن هؤلاء البدو لم يكونوا يلتزمون بالدفع إلا عند شعورهم بالخطر، وكانوا

(١) سمرقند: مدينة مشهورة بأسيا الوسطى، اسمها القديم مرقندا، ويقال لها في كتب العرب شمران، قيل أن ذي القرنين بناها في بلاد ما وراء النهر، وهي قصبة الصغد، مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه، وهي من أجل البلدان قدراً، وأشدها امتناعاً وأكثرها رجالاً. (الاصطخري: مسالك الممالك، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، ١٣٥٦ هـ/١٩٣٧ م، ص٣١٦-٣٢٣؛ ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج٢، ص٤٩٢).

(٢) السمرقندي: جهار مقالة، ص١٤١؛ صبري عبد اللطيف: المرجع السابق والصفحة.

(٣) المقريزي: أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ج١، د.ت، ص٣١٤.

(٤) الأزهري: تهذيب اللغة، تعليق عمر سلامي وعبدالكريم حامد، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ج٤، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٠٩.

(٥) المقريزي: المصدر السابق، ج١، ص٣١٤؛ الأزهري: المصدر السابق، ج٤، ص١٠٩.

(٦) صبري عبد اللطيف: قيام دوله القراخطاي، ص٤٤، ٤٥، ٤٦.

يخوضون مفاوضات مزعجة مع أولئك الملوك، فلا يرسلون المال المفروض عليهم إلا عند الضرورة، ومع ذلك كانوا ينالون من القرخطائية القوة والعزم(١).

أما بعد انتقال القرخطائية إلى تركستان، فقد طرأت بعض الاستثناءات على نظام الضرائب، نظرًا لحاجتهم الشديدة إلى معونة الآخرين، فقبلوا من ملك الأويغور الضرائب على هيئة منتجات بدلًا من الذهب المعتاد، وقد دفعتهم الظروف الطارئة إلى ذلك(٢).

تبادل السفارات

كان تبادل السفارات في الدولة القرخطائية من أبرز النظم الإدارية، إذ شكّل مظهرًا واضحًا لرغبتها في التواصل مع الدول الأخرى، وقد تحمل السفارة في طياتها دعوة إلى سلام حقيقي أو تكون نذيرًا بحرب وشيكة، وقد أدى استقرار القرخطائية في تركستان، لا سيما بعد نجاحهم في الاستيلاء على كاشغر(٣) وختن(٤)، إلى ذيوع صيتهم عبر نهر سيحون(٥) إلى بلاد ما وراء النهر، التي كانت آنذاك تحت نفوذ السلطان السلجوقي سنجر، وهو ما دفع قبائل القارولوق التركية، المقيمة على أطراف مدينة سمرقند، إلى الالتجاء إلى الكورخان طلبًا للحماية من تهديدات السلطان سنجر(٦)، فأرسل الكورخان سفارة إلى السلطان يستشفع لهم ويطلب العفو عنهم، لكن السلطان لم يقبل شفاعته، وكتب إليه يدعوه إلى الإسلام مهددًا إيّاه بجمع الجيوش إن لم يُجب، فغضب الكورخان من الرسالة وتهديداتها، وتُعد هذه الحادثة أول تبادل سفارات بين الكورخان الأول ودولة إسلامية، إلا أنها أسفرت عن نشوب حرب انتهت بهزيمة السلطان سنجر وفراره، مخلفًا وراءه عشرات الآلاف من القتلى والجرحى(٧).

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج١، ص١١١.

(٢) صبري عبد اللطيف: المرجع السابق، ص٤٧، ٤٨، ٤٩.

(٣) كاشغر: مدينة عظيمة على ضفة نهر يأتي من الشمال يقع من جبل وبهذا الجبل معادن الفضة الطيبة فهي مدينة عامرة كثيرة الخيرات مشتملة البركات(الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، م١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ٢٠٣؛ ابن الوردي: خريدة العجائب وخريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، – مصر، ١٤٣٨هـ/٢٠٠٨م، ص ١٣٢؛ على الكاشغري: الحلبي الكبير، تحقيق محمد سعيد أنور المظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج١، د.ت، ص ١١).

(٤) ختن: هي مدينه خصبة وتقع بين نهرين فيها متوحشون يأكلون البشر ولملك الختن قديما هيئه عظيمه، ويدعو نفسه عظيم الترك والتبت، وهي على الحد بين الصين والتبت، (مؤلف مجهول: حدود العالم، ص ٥٢؛ المهلبي: المسالك والمماليك تعليق تيسير خلف، ط ١، دار التلوين، دمشق – سوريا، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٦ م، ص ١٦٤؛ ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج١، د.ت، ص٤٢٢).

(٥) نهر سيحون: وهو ثاني الأنهار الكبرى في بلاد ما وراء النهر، ويعد حدا فاصلا بينهم وبين بلاد الترك، فينبع من بلاد الترك في حدود اوزكند، حتى أن البعض يطلق عليه أحيانا نهر اوزكند، فتجتمع اليه عده انهار فتصبح ماءه غزيره (ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤١٧، ٤١٩؛ ياقوت الحموي: معجم، ج ٣، ص ٢٩٤؛ ليسترنج: بلدان الخلافة، ص ٥٢٠؛ على رسول: الأوضاع الاجتماعية، ص ١٩٠).

(٦) السلطان سنجر: هو سنجر بن ملكشاه بن قلب رسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوك، ولد عام (٤٧١ هـ/١٠٧٨ م) في سنجار من ديار الجزيرة، سكن خرسان واستوطن مدينة مرو، ودخل بغداد مع أخيه وتولى السلطنة بعده وخطب له على أكثر منابر الإسلام حول أربعون عام، فقد خطب له في العراق، الشام، الجزية، أذربيجان، الحرمين، خراسان، ما وراء النهر، وتوفي عام ٥٥٢ه/١٥٧م (الصدر الشهيد: شرح ادب القاضي، تحقيق محي هلال السرحان، ط١، مطبعه الإرشاد، العراق– بغداد، ج ١، ١٣٩٧ه/١٩٧٧ م، ص ٣٣؛ الغساني: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، ١٣٩٥ ه/١٩٧٥ م، ص ٩١ ؛ ابن الشحنة: روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد محمد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٧ ه/١٩٩٧ م، ص ٢١٣).

(٧) صبري عبد اللطيف: قيام دوله القراخطاي، ص ٣٩، ٤٠.

وعندما تولى تكش بن إيل أرسلان[١] الحكم واستقر على عرش خوارزم بمساعدة القرخطائية في (٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م)، وفدت عليه سفاراتهم، لكنهم بالغوا في فرض الشروط، ولم يمنحوا ما كان متفقًا عليه، كما افتقروا إلى اللياقة في التعامل مع السلطان نفسه[٢]، فأمر تكش بقتلهم والتمثيل بجثثهم، وقد كان أحد هؤلاء الرسل من أقارب الكورخان، فجاء الرد سريعًا بإرسال جيش قرخطائي كبير بقيادة قرما، ولما بلغوا حدود خوارزم، أمر السلطان تكش بفتح مياه نهر جيحون عليهم، فغرق منهم عدد كبير وارتدّ من تبقّى.

وفي الواقع، كثيرًا ما كان سفراء الكورخان يتجاوزون حدود الأدب والمراسم عند مخاطبة سلاطين الدول الأخرى، ومن ذلك ما حدث في عام (٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م)، حين جاء رسول من الكورخان وجلس بجانب السلطان محمد علاء الدين على العرش، فتعدّى بذلك العرف الدبلوماسي، فأمر السلطان بإلقائه في نهر جيحون، عقوبة على تطاوله، وكان ذلك بمثابة إعلان حرب انتهت بهزيمة القرخطائية في طراز[٣] عام (٦٠٨ هـ / ١٢١١ م)، وفي المقابل، لم يكن الكورخان يحسن استقبال رسل الدول المجاورة، فقد تجاهل المبعوثين الخوارزميين الذين أرسلتهم تركان خاتون، والدة السلطان علاء الدين خوارزم شاه، ردًا على السفارة التي ترأسها وزير القرخطائية محمود باي، ولم يلقَ هؤلاء المبعوثون ما يليق بهم من استقبال[٤].

قصر ملك القرخطائية

كان قصر ملك القرخطائية يقع في وسط المدينة المخصصة لسُكناه، وقد غلب على عمارته الخشب المنقوش، وله ترتيب عجيب، وعليه سبعة أبواب، الباب الأول يجلس به الكتوال، وهو أمير البوابين، وله مصاطب مرتفعة عن يمين الباب ويساره، فيها المماليك البرددارية، وهم حُفّاظ باب القصر، وعددهم خمسمائة رجل، وقد أُخبرت أنهم كانوا فيما سبق يُعرفون باسم "الفرجل"، الباب الثاني يجلس عليه الصّباهيّة، وهم الرماة، وعددهم خمسمائة، الباب الثالث يجلس عليه النّزداريّة، وهم أصحاب الرماح، وعددهم خمسمائة، الباب الرابع يجلس عليه التّعذاريّة، وهم أصحاب السيوف والتّرسة، الباب الخامس فيه ديوان الوزارة، وبه سقائف كثيرة، السقيفة العظمى يجلس فيها الوزير على مرتبة هائلة مرتفعة، ويسمّون ذلك الموضع

(١) آيل أرسلان: آيل لفظ تركي معناه ولاية، وأرسلان لفظ تركي معناه أسد، أي أن آيل أرسلان تعني أسد الولاية. (النسوي: سيرة السلطان، ص٣٤؛ عبدالناصر: الدولة القرخطائية، ص١٦٨).

(٢) صبري عبد اللطيف: المرجع السابق والصفحة.

(٣) مدينة طراز: هي مدينة على حدود بلاد الترك واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة وحولها حصون منسوبة إليها. (القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية للنشر، القاهرة – مصر، ١٣٣٣ه/١٩١٤م، ج٤، ص ٤٤١.)

(٤) صبري عبد اللطيف: قيام دوله القراخطاي، ص ٤٠، ٤١.

"المسند"، وبين يدي الوزير دواة عظيمة من الذهب(١)، وتقابل هذه السقيفة سقيفة كاتب السّر، وعن يمينها سقيفة كتاب الرسائل، وعن يمين سقيفة الوزير سقيفة كتاب الأشغال، وتقابل هذه السقائف أربع سقائف، إحداها تسمى ديوان الأشراف، يجلس فيها المشرف، والثانية سقيفة ديوان المستخرج، وأميرها من كبار الأمراء، والمستخرج هو ما يبقى بعد العمال والأمراء من إقطاعاتهم، والثالثة ديوان الغوث، يجلس فيها أحد الأمراء الكبار، ومعه الفقهاء والكتّاب، فمن لحقت به مظلمة استغاث بهم، والرابعة ديوان البريد، يجلس فيها أمير الأخباريين، الباب السادس من أبواب القصر يجلس عليه الجُندارية وأميرهم الأعظم، الباب السابع يجلس عليه الفتيان، ولهم ثلاث سقائف: الأولى سقيفة الحبشان، والثانية سقيفة الهنود، والثالثة سقيفة الصينيين، ولكل طائفة منهم أمير من الصينيين(٢).

الكتابة:

كانت الكتابة عندهم تجري مجرى النقش، ويتعب فيها الكاتب الحاذق الماهر، وقيل إنه لا يمكن لخفيف اليد أن يكتب منها في اليوم أكثر من ورقتين أو ثلاث، وبها يُدوّنون كتب دياناتهم وعلومهم على المراوح، وقد ذكر ابن النديم(٣) أنه رأى عدة كتب منها، وأكثرهم يسمونها "تنويه سمينه"، وإن استقصى أخبارهم فيما بعد، وللصين كتابة تُعرف بـ "كتابة المجموع"، وهي أن لكل كلمة تُكتب بثلاثة أحرف أو أكثر صورة واحدة، ولكل كلام طويل شكل من الحروف يأتي على معانٍ كثيرة، فإذا أرادوا أن يكتبوا ما يُكتب في مائة ورقة، كتبوه في صفحة واحدة بهذا القلم، وذكر ابن النديم(٤) عن محمد بن زكريا الرازي أنه قال: قصدني رجل من الصين، فأقام عندي نحو عام، تعلّم خلاله العربية نطقًا وكتابة في مدة خمسة أشهر حتى صار فصيحًا حاذقًا سريع اليد، فلما أراد العودة إلى بلده قال لي قبل سفره بشهر: "إني على وشك الخروج، وأحب أن تُملِّي عليَّ كتب جالينوس الستة عشر لأكتبها"، فقلت له: "لقد ضاق عليك الوقت، ولا يكفي مقامك لنسخ قليل منها"، فقال الفتى: "أسألك أن تهب لي وقتك في مدة بقائي، وتُملِّي عليَّ بأسرع ما يمكنك، فأنا أتبعك بالكتابة"، فطلبت من بعض تلاميذي أن يجتمعوا معنا على ذلك، فكنا نُملي عليه بأقصى سرعة، وكان يسبقنا جميعًا، ولم نصدقه إلا عند المراجعة، إذ قابل كل ما كتبه، فسألته عن الأمر، فقال: "إن لنا كتابة تُعرف بالمجموع،

(١) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأنصار وعجائب الأسفار، تقديم محمد عبد المنعم العريان، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت –لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٦٥٦.

(٢) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأنصار وعجائب الأسفار، تقديم محمد عبد المنعم العريان، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت –لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٦٥٦.

(٣) ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د.ت، ص٢٤.

(٤) المصدر السابق، ص٢٤، ٢٥.

وهي ما رأيتم، فإذا أردنا أن ندوّن شيئًا كثيرًا في وقت يسير كتبناه بهذا الخط، ثم إن شئنا نقلناه إلى القلم المتعارف والمبسوط"، وزعم أن الإنسان الذكي السريع التلقين لا يمكنه تعلُّم تلك الكتابة في أقل من سنتين(١).

ترتيب جيش القرخطائية

كان لخان القرخطائية أميرين كبيرين يُعرفان بالوزراء، وكان الوزير كما هو معروف رأس النظام الإداري في الدولة، فهو مسؤول في الغالب عن إدارة دواوين الدولة التي تتولى تنفيذ المهام الأساسية في مختلف شؤون الإدارة المالية والإدارية والعسكرية، ويُسمّى كل واحد من هؤلاء الوزراء "جينكصان"، ويليهما في المرتبة أميران آخران يُسمى كل منهما "نيجار"، ثم أميران يُسمى كل منهما "وزوجين"، ثم أميران يُسمى كل منهما "بوجين"، وكان للخان كاتب(٢) يُعرف باسم "يجور كذا"، يشغل منصب رئيس الكُتّاب ويُعد بمنزلة كاتب السر في بلادنا، وكان القان (الخان) يجلس كل يوم في صدر دار فسيحة تُسمّى "اشن"، وهي بمثابة دار العدل عندنا، ويقف حوله الأمراء المذكورون عن يمينه وشماله بحسب رتبهم ومقاماتهم، ويتلقى رئيس الكتابة "يجور كذا" الشكاوى والطلبات من الناس، فإذا تقدّم أحد بشكوى أو طلب، سلّم قصته لرئيس الكتابة، فيطّلع عليها ثم يرفعها إلى أحد الأميرين الأدنى رتبة، وهما أصغر الأمراء، فينظران فيها ثم يرفعانها لمن فوقهم، وهكذا حتى تصل إلى الخان، فيصدر أمره بما يراه مناسبًا، وقد قيل إن وزراء الخان هم الذين يصدرون الأوامر في المملكة كلها(٣)، ولا يُراجع الخان إلا في النادر.

وإذا أراد الخان أن يركب، ركب في محفة ولا يظهر للناس إلا في يوم واحد هو يوم مولده في كل عام، ففي هذا اليوم يركب فرسًا ويخرج إلى الصحراء حيث تُقام الموائد والسماطات وتُقدَّم الأطعمة بكثرة تغمر الناس، ويُعد هذا اليوم عندهم بمثابة يوم عيد(٤)، وكان لهذا الخان جيش عظيم، قيل إنه يضم اثني عشر ألف بازدار يركبون الخيل، إلى جانب عساكر من المغول بلغ عددهم عشرين تومانًا، أي مائتي ألف فارس، أما عساكر القرخطائية فعددهم لا يُحصى من كثرتهم(٥).

(١) ابن النديم: المصدر السابق، ص ٥٢.

(٢) صبري عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٣٦.

(٣) صبري عبد اللطيف: قيام دوله القراخطاي، ص٣٦، ٣٧.

(٤) لويس شيخو اليسوعي: المشرق، مجلة كاثوليكية، العدد ١، بيروت – لبنان، د.ت، ص ٤٥٠، ٤٥١.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٨٦.

ثانيًا: النظام الاقتصادي للدولة القرخطائية

الزراعة

تحظى الزراعة بأهمية خاصة كونها مصدر الحياة للإنسان، فهي توفر المقومات الأساسية لحياته، كما تضمن الزراعة توفير الأعلاف الحيوانية، مما يساهم في تحقيق التوازن البيئي وتنقية الهواء من خلال زيادة نسبة الأكسجين وتقليل نسبة ثاني أكسيد الكربون في الجو، ولم تقتصر الزراعة على زراعة المحاصيل النباتية والبستانية فقط، بل امتدت لتشمل تربية المواشي والأسماك والأحياء المائية، وكذلك توفير غذاء الدواجن، فالزراعة هي العامل الأساسي لبقاء البشر وجميع الكائنات وازدهار المجتمعات على مر العصور(١).

وقد عمل الشعب القرخطائي بالزراعة منذ أيام تواجدهم في الصين، إذ كان المجتمع الصيني مجتمعًا زراعيًا بدرجة كبيرة، وتلحق به عدد من الصناعات المتعلقة بالزراعة، مثل تربية دود القز وتصنيع خيوط الحرير التي يتم إنتاجها بعناية، كما كانت بلاد القرخطاي مليئة بالبساتين والزروع التي تدل على مدى أهمية الزراعة عندهم(٢)، بالإضافة إلى ذلك، عمل القرخطاي على تربية الحيوانات للأغراض الزراعية والمنزلية(٣)، وذلك بسبب قلة الأدوات الزراعية في القدم، مما جعل الإنسان يعتمد على الحيوانات في إنجاز كثير من أعماله الشاقة.

وحين هاجر الشعب القرخطائي إلى تركستان الشرقية وبلاد ما وراء النهر، تهيأت لهم الظروف المناخية الملائمة، مما ساعدهم على الاستمرار في العمل بالزراعة، فقد كانت تركستان بلدًا زراعيًا إلى حد كبير، وتعد من أوائل البلاد التي اكتشفت الزراعة وممارستها، كما تنوعت فيها النباتات والخضروات(٤)، وكانت بلاد ما وراء النهر أرضًا مكسوّة بالخضرة والمزارع، حتى قيل إن من كثرة زروعها وقدرتها، يختلط جمال خضرتها بجمال لون السماء(٥).

---

(١) أيرين فرانك، ديفيد براونستون: طريق الحرير، ترجمة أحمد محمود، المشروع القومي للترجمة، مطابع الأهرام، القاهرة – مصر ، ١٤٠٧ه/١٩٨٦م ، ص ٨، ١٣؛ طارق فتحي سلطان: الزواج في بلاد الصين من خلال كتب الجغرافية والرحلات العربية الإسلامية في القرون الوسطى، مجلة التربية والعلم، المجلد ١٨، العدد٢، جامعة الموصل، ١٤٣٣ه/٢٠١١م ، ص١١٣.

(٢) ابن بطوطة: رحلة، ص ٦٥٥.

(٣) طارق فتحي: طريق الحرير، ص ٨، ١٣.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٣٩؛ محمد أمين بوغرا: تاريخ تركستان الشرقية، ترجمه محمد قاسم أمين، مكة المكرمة– السعودية، دار مكتبه الملك فهد، ١٤٢٩ ه/ ٢٠٠٨م ، ص ٥٣.

(٥) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٢٩٣؛ العبد الوادي التلمساني: واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق محمود محمد خلف، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت، ص ١٦٥.

العوامل التي ساعدت على ازدهار الزراعة

١) وفرة المياه

تعد الأمطار والأنهار ومياه الأودية والآبار والعيون من العوامل التي تساعد على وفرة المياه وزيادة الإنتاج الزراعي، وتجري في تركستان الشرقية العديد من الأنهار التي أسهمت في توفير المياه المناسبة للزراعة، فقد وُجد فيها نهر آمو ونهر سر، ونهر تاريم الذي ينبع من الثلوج المتراكمة على المرتفعات(١)، ونهر آيلي الذي تتفرع منه العديد من النهيرات والترع(٢)، إلا أن الغيوم التي تتلبد في سماء البلاد بصورة استثنائية تُلحق ضررًا واضحًا بالزراعة، إذ تحجب أشعة الشمس، مما يؤدي إلى تأخر ذوبان الثلوج المتراكمة على قمم الجبال.

أما بلاد ما وراء النهر، فعلى العكس من ذلك، فقد وجد الشعب القرخطائي عند هجرتهم إليها ثروة طبيعية هائلة(٣) تفوق الوصف، حيث تتوافر فيها الأنهار والأشجار والبساتين والزروع(٤)، والفاكهة وسائر أنواع البقول(٥)، ويعود ذلك إلى وجود:

١. نهر جيجون:

وهو اعظم انهار بلاد ما وراء النهر وأطولها واعمقها وأكثرها مياه، يفصل بين خراسان وبلاد ما وراء النهر(٦)، وينبع من بحيره التبت الصغرى، ويمر ببعض البلاد ينحدر إلى الهضاب الشرقية.

٢. نهر سيحون:

وهو ثاني الأنهار الكبرى في بلاد ما وراء النهر، ويعد حدا فاصلا بينهم وبين بلاد الترك، فينبع من بلاد الترك في حدود اوزكند، حتى أن البعض يطلق عليه أحياناً نهر اوزكند، فتجتمع إليه عده انهار فتصبح ماءه غزيره(٧).

---

(١) أحمد عمارة عبد الجليل عبدالخالق: المسلمون المنسيون في تركستان الشرقية، ١٤٣٨ه/٢٠١٦م، ص ١٠، ١١؛ يلمازا أوزطونا: المدخل إلى التاريخ التركي، ترجمة أرشد الهرمزي، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ه/٢٠٠٥م، ص ١٣٦.

(٢) السيد عبد المؤمن السيد أكرم: أضواء على تاريخ توران (تركستان)، تقديم أحمد محمد جمال، مطبعة رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة – السعودية، د.ت ، ص ٩.

(٣) محمود شاكر: تركستان (الصينية الشرقية)، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٣٩٣ه/١٩٧٣م ، ص ٣٠.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٥؛ علي محمد شريف رسول: الأوضاع الحضارية في بلاد ما وراء النهر في عهد الترك الايلكخانيين، (٣٨٢-٦٠٥هـ/٩٩٢-١٢١٢م)، ط١، دار غيداء للنشر، عمان –الأردن، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م ، ص ١٨٧.

(٥) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٢٩٥؛ القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٤٣٢.

(٦) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، الكوفة – العراق، ١٤٠٢ هـ/١٩٨١ م، ص ١٥٤؛ الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٢٩٦؛ على رسول: المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤١٧، ٤١٩؛ ياقوت الحموي: معجم، ج ٣، ص ٢٩٤؛ كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، الكوفة – العراق، ١٣٧٣ه/١٩٥٤م ، ص ٥٢٠؛ على رسول: الأوضاع الاجتماعية، ص ١٩٠.

٣. نهر الصغد:

عرف بهذا الاسم لأنه يسقي أراضي المنطقة الممتدة بين النهرين سيحون وجيجون، وعرف أيضا باسم (نهر بخاري) (١).

٤. نهر سبز:

وهو النهر الثاني الذي يسقي أراضي الساقط، فضلا عن عدة أنهار أخرى(٢).

٢- خصوبة التربة

عاش القرخطاي في تركستان الشرقية على مساحه واسعه وارض خصبه صالحه للزراعة بشكل كبير تملاها المعادن والخيرات(٣) وكان الحال كذلك في بلاد ما وراء النهر التي ساعدتها وفره المياه وخصوبة التربة على زراعه مختلف المحاصيل(٤) فقد وصفها ياقوت الحموي(٥) قائلا (الخاص فيها يزيد على الوصف).

٣- طرق الري

حين وجود الشعب القرخطائي في تركستان الشرقية كانت طرق الري تنقسم إلى قسمين هما:

أ. **الزراعة البعلية:** وهي تشكل جزءا ضئيلا من مجموعه الأراضي الزراعية، ويعتمد فيها على الأمطار لزراعه مزروعات قليله.

ب. الزراعة المروية: وهي اكثر شيوعا في تركستان الشرقية رغم ما تتكفله من جهد(٦)

وأما طرق الري في بلاد ما وراء النهر فكانت تقوم على تشييد القناطر المحكمة في المدن الكبيرة(٧)، ولكن لم تمدنا المصادر الجغرافية بتفاصيل اكثر عن طرق الري في بلاد ما وراء النهر، ربما يعود ذلك إلى افره الأنهار والآبار والسدود التي تجعل الراي اكثر سهوله.

٤- المناخ

كان المناخ في تركستان الشرقية بارد شتاء وحار صيفا مما يساعد على تنوع المحاصيل(٨) ، أما بلاد ما وراء النهر فكان المناخ فيها شديد البرودة تكثر فيها المحاصيل الشتوية(٩).

---

(١) ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٣٩٩؛ بارتولد شبولر: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ١٤١٧ه/١٩٩٦م ، ص ١٩٨.

(٢) على رسول: الأوضاع الاجتماعية، ص ١٩١.

(٣) السيد عبد المؤمن: أضواء، ٩

(٤) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت – لبنان، د.ت ، ص ٥٥٧، ٥٥٨.

(٥) معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٥.

(٦) محمود شاكر: تركستان الصينية، ص ٢٩، ٣٠.

(٧) أمنيوس فامبري: تاريخ بخاري، ترجمة أحمد محمود الساداني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة – مصر، ١٢٨٩ه/١٨٧٢م، ص ٢٧، ٢٨؛ على رسول: الأوضاع الاجتماعية، ص ١٩١.

(٨) أحمد عمارة: المسلمون في تركستان، ج ١٠.

(٩) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٤؛ أحمد عبد العزيز محمود مصطفى: الدولة السامانية تاريخها وحضاراتها، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٠م، ص ١٣.

٥- أهم المحاصيل

تنوعت المحاصيل والنباتات وكثرة الأشجار والبساتين في تركستان وبلاد ما وراء النهر أثناء تواجد الدولة القرخطائية فكانت في تركستان نباتات البريه(١) والحبوب والفاكهة ومنها:

١. القمح
٢. الذرة
٣. الشعير
٤. البطيخ
٥. القطن
٦. حبوب الزيت(٢)

كما أن القرخطاي كانوا على دراية بزراعه البطيخ وله أنواع عندهم(٣) وكانت المحاصيل اكثر تنوعا وتوفرا في بلاد ما وراء النهر فوجد بها من الزروع والحبوب:

١. القمح
٢. الشعير
٣. الحمص
٤. الأرز(٤)

ومن الفاكهة:

١. العنب
٢. التين
٣. الرمان
٤. التفاح
٥. الكمثرى
٦. الخوخ
٧. المشمش
٨. التوت
٩. البطيخ

(١) القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٤٣٩.
(٢) محمد أمين بوغرا: تاريخ تركستان، ص ٥٣.
(٣) القزويني: آثار البلاد، ص ٥١٨.
(٤) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٢٩٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٥.

١٠.الخيار

وبها من الخضروات:

١. اللفت
٢. الجزر
٣. الكرنب
٤. الباذنجان
٥. القرع(١)

واستنادا إلى ما سبق ذكر عن روعه الزروع في بلاد ما وراء النهر ووفـره الميـاه والأرض الخصبة فان هذه البلاد ازدادت جمالا بكثرة الزينة والحدائق والرساتيق(٢) والزهور ومنها:

١. الورد
٢. البنفسج
٣. الرياحين
٤. اللينوفر
٥. الحبق
٦. الآس

وكلها أنواع من الزهور والورود ممن تنير المنازل والقصور بروعه ألوانها(٣).

هذا بالإضافة للثروة الحيوانية الضخمة التي لها استخدامات كثير من المأكل والملبس ومساعده الناس في السفر والترحال والمساعدات الزراعية، فقد وجدت في تركـستان وبـلاد مـا وراء النهر الكثير من الحيوانات منها(٤):

- الخيل
- البغال
- الحمير
- الابل
- البقر

(١) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٢٩٥.

(٢) الرساتيق: هي كل موضع فيه مزارع وهي كلمة فارسية تساويها في العربية كلمة الرزداق (ياقوت الحموي: معجم، ج ١، ص ٤٠؛ نادية عويس حسانين: التاريخ العسكري في بلاد ما وراء النهر وأفغانستان، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية – مصر، د.ت، ص ٥٠).

(٣) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٢٩٥؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص ٤٩٠؛ القزويني: آثار البلاد، ص ٦٠٣.

(٤) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٢٨٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٥؛ القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٤٣٢.

- الغنم
- السنجاب
- السمور
- الفاقم
- الفنك
- الثعالب
- الأرانب البيض
- البزاة الشهب

وأغلبها اعوز للزرائب ولهم من نتاجها الخير الكثير(١).

كل هذه النعم والخيرات الوفيرة كانت سببًا في راحة ونعيم الشعب القرخطائي في تركستان وبلاد ما وراء النهر، فقد كانت حياتهم هناك مليئة بالرغد والاستقرار والعيش الهنيء، ولهذا سعوا بكل قوتهم إلى امتلاك تلك البلاد والسيطرة عليها، ولا شك أن القرخطائية أرادوا الاستقرار في بلاد ما وراء النهر وتركستان الشرقية لما فيها من خيرات كثيرة ونعيم دائم ورغد في العيش، فكانت هجرتهم إلى تلك البلاد سببًا في حصولهم على الخير الوفير، والسلطة، وازدهار الحياة(٢).

الصناعة

وتُعد الصناعة من أهم الأنشطة التي تساهم في بناء المجتمع، لكونها مصدرًا رئيسيًا لازدهار البلاد، كما تسهم في القضاء على الفقر والبطالة، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى التطور والتحضر والرقي بالمجتمع، ومن أبرز الصناعات الكبرى في الدولة القرخطائية كانت صناعة الحرير الفاخر، الذي أبدعوا فيه وأتقنوه، حتى أصبح من أفضل الأنواع على الإطلاق، وقد اشتهروا بصناعته لفترة طويلة امتدت لعدة قرون(٣)، وكان الرجل من القرخطائية يصنع بيده ما يعجز عنه غيره(٤)، كما أجادوا صناعة الخزف والطباعة، وتمكنوا من إنتاج الأدوات الخزفية ونسخ الكتب، ومن بينها الموسوعة البوذية(٥)، كما أن سكان تركستان اكتشفوا المعادن

(١) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٢٨٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٥؛ القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٤٣٢.

(٢) القزويني: آثار البلاد، ص ٥١٧ – ٥١٨.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٢١٠؛ طارق فتحي سلطان: الزواج في بلاد الصين، ص ١١٣.

(٤) السيرافي: رحلة السيرافي، ص٦٠.

(٥) جبا وجبان: تاريخ الصين، ط١، دار نباء الصين للنشر، كين – الصين، ١٤٠٨ه/١٩٨٧م، ج٢، ص١٢.

وتفوقوا في صناعتها[١]، وكان يوجد في تركستان وبلاد ما وراء النهر الكثير من المعادن منها:

١. البلحش
٢. اللازورد
٣. البيجاذق
٤. المسك
٥. الحديد
٦. الذهب
٧. الفضة
٨. الزئبق

وقد فاض الحديد عن حاجه أهل ما وراء النهر بعد تصنيعهم الأسلحة والأدوات[٢].

التجارة

تعد التجارة من الأنشطة الاقتصادية المهمة في حياه الإنسان والمعروفة منذ القدم لدى البشرية، وتساعد التجارة على نمو الاقتصادي وإتاحة فرص العمل والحد من الفقر، وتكون مقومات التجارة هي (توافر مواد الخام، مصادر الصانعين)، كما تنقسم التجارة إلى قسمين[٣]:

١. التجارة الداخلية.

وهي التي تتم داخل البلاد بين سكانها وفي أسواقها وتكون السلع والبضائع من داخل البلاد ومن أرضها وصنع أهلها.

٢. التجارة خارجيه.

وهي التي يتم فيها تبادل السلع والبضائع وكل ما يباع ويشترى بين البلاد وبعضها ويجتمع فيها البشر من أجناس مختلفة[٤].

فحين هاجرت القبائل القرخطائية إلى تركستان الشرقية كانت بلد خصبه عامره[٥] لعبت التجارة دورا هاما فيها واستخدمت التجارة الخارجية كوسيله ممتازة لنشر الإسلام[٦] وفضلا عن التجارة الداخلية والمنتجات الزراعية المتوفرة في تركستان الشرقية فقد تاجرت تركستان

(١) أحمد عمارة: المسلمون، ص ١١؛ السيد الباز العريني: المغول، دار النهضة العربية للنشر، بيروت – لبنان، ١٤٠١ه/١٩٨١م، ص ٣١؛ محمد أمين بوغرا: تاريخ تركستان، ص ٥٣.
(٢) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٣٨٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٥؛ القزويني: آثار البلاد، ص ٥١٨؛ القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٤٣٣.
(٣) ياقوت الحموي: معجم، ج ٢، ص ٢٤، ٢٥.
(٤) إمام الشافعي محمد حمودي، قاسم محمد غنيمات: دور التجارة والتجار في نشر الإسلام في جنوب شرق آسيا، دار الخليج، عمان – الأردن، ١٤٣٨ هـ/٢٠١٧ م، ص ٤٩، ٥٠.
(٥) ياقوت الحموي: معجم، ج ٢، ص ٢٤، ٢٥.
(٦) إمام الشافعي محمد حمودي، قاسم محمد غنيمات: دور التجارة والتجار في نشر الإسلام في جنوب شرق آسيا، دار الخليج، عمان – الأردن، ١٤٣٨ هـ/٢٠١٧ م، ص ٤٩، ٥٠.

خارجيا في الرقيق التركي والأغنام وفرو الثعالب، والسناجب وخصوصا الفرو شديد البياض المعروف ب (الفاقم) كما تجروا في الذهب والمسك والحمير والابل والخيل وكانوا يستوردون القطن(١)(٢).

كما أن ثراء بلاد ما وراء النهر طبيعيا وبشريا، ووقوعها على طريقه التجارة العالمي (طريق الحرير) جعلت التجارة في حركه دائمه(٣) فقد تاجر أهالي بلاد ما وراء النهر في الثياب الرقيق والمواشي والقطن والبسط والمصليات والثياب من الصوف(٤).

وبالتالي فلابد أن يكون الشعب القرخطائي قد استفاد من هذا الازدهار التجاري وربما يكونوا قد شارك معهم بالأيدي العاملة ولكن المصادر لم تمدنا بمعلومات حول تجارة القرخطائية في تركسان الشرقية وبلاد ما وراء النهر.

العملة

تُعد النقود من المصادر المهمة في دراسة التاريخ، إذ تدل على سمات العصور المختلفة، وعلى الأوضاع السياسية والاقتصادية والفنية، فهي مصدر لا يكذب ولا يُحرف، وتشير العلامات التي تظهر على النقود إلى ازدهار الدولة أو تراجعها، أما معاملات أهل القرخطائية، فقد كانت تتم باستخدام قشور لحاء شجرة التوت، تُطبع باسم الخان، فإذا عتق ذلك اللحاء حمله صاحبه إلى نواب الخان وأخذ بدله نقدًا مع خسارة طفيفة، كما كانت هناك دار للضرب تُسك فيها العملات من الذهب والفضة، وكانت هذه العملات متنوعة، فمنها ما يعادل درهمًا واحدًا، ومنها ما يعادل درهمين، ومنها ما يعادل خمسة دراهم أو أكثر، حتى ثلاثين وأربعين وخمسين ومائة درهم(٥).

وقد استمر في تركستان الصينية في العصور المتأخرة استخدام القطع القطنية بدلًا من العملة النقدية(٦)، كما وُجدت عملات نقدية تعود إلى أسرة الخانات الإيلكخانيين(٧)، إلا أن المصادر التاريخية لم تمدنا بمعلومات وافية عن العملة الخاصة بالدولة القرخطائية أثناء وجودهم في

(١) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٢٨٢؛ حسين إبراهيم محمد مصطفى الجيراني: دويلات المشرق الإسلامي، ط ١، ١٤٣٨ هـ/٢٠١٧ م، ص ٣٥٢.

(٢) المقديسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٥٠، ٢٥١؛ موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول من القرن ٢ إلى القرن ٥ هـ (٨: ١١ م)، ترجمة إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب – المغرب، ١٤١١ هـ/١٩٩٠ م، ص ٢٦١، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٩١.

(٣) على رسول: الأوضاع الحضارية، ص ١٨٨.

(٤) الاصطخري: المصدر السابق، ص ٣١٤، ٣١٥.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٤٨٥؛ لويس شيخو: مجله المشرق، ص٤٤٨.

(٦) سليمان التاجر: عجائب الدنيا وقياس البلدان، تحقيق سيف شاهين المريخي، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي – الإمارات، ١٤٢٦/٢٠٠٥م، ص٥١، ٥٢؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص ١٣٧؛ محمد أمين إسلام: تركستان المسلمة ص٧.

(٧) بارتولد: تركستان، ص ٤١١؛ على رسول: الأوضاع الحضارية، ص ١٨٨.

تركستان الشرقية وبلاد ما وراء النهر، ومن المحتمل أن قصر مدة حكمهم في البلاد الإسلامية لم يُتِح لهم إصدار عملة مستقلة.

لكن من الجدير بالذكر أن مسكوكات ضُربت في بلاد ما وراء النهر في مدينتي أوركند وسمرقند، حيث سُكّت الأولى باسم الخان إبراهيم بن الحسين الذي اتخذ لقب "سلطان السلاطين الكبير"، وكان ذلك في سنة (٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م)، وسُكّت الثانية باسمه أيضًا في سنة (٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م)، واستمر سكها إلى سنة (٥٩٥ هـ / ١١٩٩ م)، وذلك أثناء بداية استقرار الشعب القرخطائي في بلاد ما وراء النهر[١].

(١) بارتولد: المرجع السابق، ص ٥٠٨.

الخاتمة:

انتهت الدراسة إلى أن الدولة القرخطائية شكلت نموذجًا فريدًا للإدارة والاقتصاد خلال العصور الوسطى، مستفيدة من موقعها الجغرافي بين الصين وتركستان وبلاد ما وراء النهر، مما أتاح لها تفاعلًا حضاريًا وتجاريًا مع الثقافات المجاورة، على الصعيد الإداري، اعتمدت الدولة نظام حكم وراثيًا منظمًا، تميز بهرمية واضحة شملت مختلف المستويات القيادية، واستطاعت توظيف عناصر من ثقافات مختلفة لضمان استقرار المدن التابعة وتعزيز الولاء للحكم المركزي.

اقتصاديًا، كانت الزراعة ركيزة أساسية في الدولة، حيث استغلت الموارد الطبيعية من مياه وأنهار وخصوبة التربة، إلى جانب تطوير تقنيات ري مبتكرة أسهمت في ازدهار الإنتاج الزراعي، كما كان للصناعة دورٌ بارز، خاصة صناعة الحرير والخزف، إلى جانب التعدين واستخراج المعادن، ما عزز الاقتصاد المحلي وجعله قادرًا على التصدير، وعلاوة على ذلك، لعبت التجارة الخارجية، ولا سيما عبر طريق الحرير، دورًا مركزيًا في تحقيق ازدهار اقتصادي، حيث استفادت الدولة من موقعها الاستراتيجي لتصبح حلقة وصل بين الشرق والغرب.

تعكس الدراسة أن قدرة الدولة القرخطائية على تحقيق التوازن بين الإدارة الفعالة والنشاط الاقتصادي الذي أسهم في بناء دولة قوية ومستقرة، ورغم انتمائها إلى بيئة بدوية في البداية، استطاعت التكيف مع متطلبات المناطق الحضرية التي حكمتها، مما يعكس مرونة وقدرة قيادتها على التفاعل مع التحديات المتغيرة، إن هذا النموذج يعد شهادة على إمكانية تحقيق التنمية من خلال الاستفادة المثلى من الموارد المحلية وتعزيز التفاعل الثقافي والتجاري مع المحيط الإقليمي.

توفر هذه الدراسة مرجعًا مهمًا لفهم حيثيات الحكم والإدارة في العصور الوسطى، وتسهم في تسليط الضوء على الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية التي أثرت في بناء الدول واستدامتها خلال تلك الفترة. كما تفتح آفاقًا جديدة للبحث في دور الدول الوسيطة في تعزيز التجارة والثقافة عبر العصور.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية

١. **ابن الأثير (ت٦٣٠ه/١٢٣٢م): عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن محمد الشياني،** اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج١، د.ت.

٢. **الإدريسي (ت٥٦٠ه/١١٦٢م): أبوعبد الله محمد بن إدريس،** نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، م١، ١٤٢٢ه/٢٠٠٢م.

٣. **الاصطخري (٣٤٦ ه/٩٥٧م): أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي،** مسالك الممالك، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، ١٣٥٦ ه/١٩٣٧ م.

٤. **ابن بطوطة (ت٧٧٩ه/١٣٧٧م): أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي،** رحلة بن بطوطة المسماة (تحفة الأنظار في غرائب الأنصار وعجائب الأسفار، تقديم محمد عبد المنعم العريان، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت – لبنان، ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م.

٥. **ابن حوقل (ت٣٨٠ه/٩٩٠م): أبو القاسم بن حوقل النصبي،** صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ١٤١٣ه/ ١٩٩٢م.

٦. **ابن خلدون (ت٨٠٨ه/١٤٠٦م): عبد الرحمن بن خلدون،** الخبر عن دولة التتر، تحقيق أحمد عمراني، ط١، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ١٤٣٤ه/٢٠١٣م.

٧. **الذهبي (ت٧٤٨ه/١٣٤٧م): شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان،** سير إعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرحالة، بيروت – لبنان، ج١٧، ج٢٠، ج٢٢، ١٤٠٣ه/١٩٨٣م.

٨. ـــــ: العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج٢، ج٣، ١٤٠٥ه/ ١٩٨٥م.

٩. **الأزهري (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م): محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي،** تهذيب اللغة، تعليق عمر سلامي وعبدالكريم حامد، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ج٤، ١٤٢١ه/٢٠٠١م.

١٠. **سليمان التاجر (ت٢٣٧ه/٨٥١م):** عجائب الدنيا وقياس البلدان، تحقيق سيف شاهين المريخي، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي – الإمارات، ١٤٢٦ه/٢٠٠٥م.

١١. **السمعاني (ت٥٦٢ه/١١٦٦م): أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي،** الأنساب، تعليق عبد الرحمن بن يحي المعلمى اليماني، دار الفاروق الحديثة للنشر، القاهرة – مصر، م٢، ١٤٣٧ه/٢٠١٦م.

١٢. **السيرافي (ت بعد ٣٣٠هـ): أبوزيد الحسن**، رحلة السيرافي، تحقيق عبدالله الحبشي، ط١، أبو ظبي – الإمارات، المجمع الثقافي، ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م.

١٣. **ابن الشحنة (ت٨١٥ه/١٤١٢م): محب الدين أبو الوليد محمد**، روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد محمد مضي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٧ه/١٩٩٧م.

١٤. **الصدر الشهيد (ت٥٣٦ه/١١٤١م): عمر بن عبد العزيز مارة البخاري الحنفي**، شرح أدب القاضي، تحقيق محي هلال السرحان، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد – العراق، ج١، ١٣٩٧ه/١٩٧٧م.

١٥. ـــــــــ: شرح الجامع الصغير، تحقيق صلاح عواد جمعة وخميس دحام وحاتم عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.

١٦. **العبد الوادي التلمساني (ت٧٩١ه/١٣٨٩م):** واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق محمود محمد خلف، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.

١٧. **ابن العبري (ت٦٨٥ه/١٢٨٦م):** غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت – لبنان، د.ت.

١٨. **الغساني (ت٨٠٣ه/١٤٠٠م):** إسماعيل بن العباس، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد – العراق، ١٣٩٥ه/١٩٧٥م.

١٩. **ابن فضل العمري (ت٧٤٩ه/١٣٤٩م): أحمد بن فضل الله بن يحى بن أحمد**، مسالك الابصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سليمان الجيوري، دار الكتب العلميه، بيروت – لبنان، ج ٣، د.ت.

٢٠. **القزويني (ت٦٨٢ه/ ١٢٨٣م): أبو عبدالله زكريا بن محمد بن محمود**، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت – لبنان، د.ت.

٢١. **قدامة بن جعفر (ت٣٣٧ه/٩٤٨م):** الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، الكوفة – العراق، ١٤٠٢ ه/١٩٨١ م.

٢٢. **القلقشندي (ت٨٢٠ه/١٤١٧م): أبو العباس أحمد**، صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية للنشر، القاهرة – مصر، ج٤، ١٣٣٣ه/١٩١٤م.

٢٣. **المقدسي (ت٣٨٠ه/٩٩٠م): شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبوبكر**، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.

٢٤. **المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): تقى الدين أبو العباس أحمد بن علي**، أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، ط٢، القاهرة – مصر، ج١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢٥. **المهلبي (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م): الحسن بن أحمد**، المسالك والممالك، تحقيق تيسير خلف، ط١، دار التلوين، دمشق – سورية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٦. **ابن ميسر (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م): تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب**، المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة – مصر، د.ت.

٢٧. **مؤلف مجهول (ت٣٧٢هـ/٩٨٢م)**: حدود العالم من المشرق إلى المشرق، تحقيق يوسف الهادي، ط، دار الثقافية للنشر، القاهرة – مصر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢٨. **مؤلف مجهول (غير معروف)**: التاريخ السري للمغول، ترجمة سهيل زكار، دمشق – سوريا، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٢٩. **ابن النديم (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م): محمد بن اسحق**، الفهرست، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د.ت.

٣٠. **النسوى (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م): محمد بن أحمد**، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، ١٤٧٣هـ/١٩٥٣م.

٣١. **أبو الهجاء (ت٧٠٠هـ/١٣٠١م): عز الدين محمد بن أبي الهجاء بن محمد الهندباني الأربلي**، تاريخ ابن أبي الهجاء، تحقيق صحبي عبد المنعم محمد، ط١، رياض الصالحين، القاهرة – مصر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٣٢. **ابن الوردي (ت٨٦١هـ/١٤٥٧م): سراج الدين**، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

٣٣. **ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي**، المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، عالم الكتب، ط٢، بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣٤. ـــــــــ: معجم البلدان، دار صادر، بيروت – لبنان، ج١، ج٢، ج٥، ١٣٩٧هـ/١٩٩٣م.

ثانيًا: المصادر الفارسية المعربة

٣٥. **الراوندي (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م): محمد بن علي بن سليمان**، راحة الصدور وآية السرور، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي وعبد المنعم محمد حسنين وفؤاد عبد المعطي الصياد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة – مصر، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣٦. **السمرقندي (ت٥٥٥ه/١١٦٠م): أبو الحسن نجم الدين أحمد بن عمر بن علي السمرقندي،** جهار مقالة، ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، ط١، مطبعة الخنا للنشر، القاهرة – مصر، ١٣٦٨ه/١٩٤٩م.

٣٧. **الهمذاني (ت٧١٨ه/١٣١٨م): رشيد الدين فضل الله،** جامع التواريخ (تاريخ المغول)، ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة – مصر، م٢، ١٣٨٠ه/١٩٦٠م.

٣٨. ـــــــــ: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قا أن إلى تيمور قا آن)، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، د.ت.

ثالثًا: المراجع العربية

٣٩. **أحمد عبد العزيز محمود مصطفى:** الدولة السامانية تاريخها وحضاراتها، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٠م.

٤٠. **أحمد عمارة عبد الجليل عبدالخالق:** المسلمون المنسيون في تركستان الشرقية، ١٤٣٨ه/٢٠١٦م.

٤١. **السيد الباز العريني:** المغول، دار النهضة العربية للنشر، بيروت – لبنان، ١٤٠١ه/١٩٨١م.

٤٢. **السيد عبد المؤمن السيد أكرم:** أضواء على تاريخ توران (تركستان)، تقديم أحمد محمد جمال، مطبعة رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة – السعودية، د.ت.

٤٣. **إمام الشافعي محمد حمودي، قاسم محمد غنيمات:** دور التجارة والتجار في نشر الإسلام في جنوب شرق آسيا، دار الخليج، عمان – الأردن، ١٤٣٨ هـ/٢٠١٧م.

٤٤. **حسين إبراهيم محمد مصطفى الجيراني:** دويلات المشرق الإسلامي، ط ١، ١٤٣٨ ه/ ٢٠١٧ م.

٤٥. **على الكاشغري:** الحلبي الكبير، تحقيق محمد سعيد أنور المظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج١، د.ت.

٤٦. **علي محمد شريف رسول:** الأوضاع الحضارية في بلاد ما وراء النهر في عهد الترك الايلكخانيين)، (٣٨٢-٦٠٥هـ/٩٩٢-١٢١٢م)، ط١، دار غيداء للنشر، عمان –الأردن، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

٤٧. **محمد أمين إسلامي التركستاني:** التركستان المسلمة، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، جدة – السعودية، ١٣٨٤ه/١٩٦٤م.

٤٨. **محمد أمين بوغرا:** تاريخ تركستان الشرقية، ترجمه محمد قاسم أمين، مكة المكرمة- السعودية، دار مكتبه الملك فهد، ١٤٢٩ ه/ ٢٠٠٨م.

٤٩. **محمود شاكر:** تركستان (الصينية الشرقية)، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٣٩٣ه/١٩٧٣م.

٥٠. **نادية عويس حسانين:** التاريخ العسكري في بلاد ما وراء النهر وأفغانستان، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية – مصر، د.ت.

رابعًا: المراجع الأجنبية المترجمة

٥١. **أمنيوس فامبري:** تاريخ بخاري، ترجمة أحمد محمود الساداني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة – مصر، ١٢٨٩ه/١٨٧٢م.

٥٢. **أيرين فرانك، ديفيد براونستون:** طريق الحرير، ترجمة أحمد محمود، المشروع القومي للترجمة، مطابع الأهرام، القاهرة – مصر ، ١٤٠٧ه/١٩٨٦م.

٥٣. **بارتولد شبولر:** تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ١٤١٧ه/١٩٩٦م.

٥٤. **جيا وجيان:** تاريخ الصين، ط١، دار نباء الصين للنشر، كين – الصين، ج٢، ١٤٠٨ه/١٩٨٧م.

٥٥. **كي ليسترنج:** بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، الكوفة – العراق، ١٣٧٣ه/١٩٥٤م.

٥٦. **موريس لومبار:** الإسلام في مجده الأول من القرن ٢ إلى القرن ٥ هـ (٨ : ١١ م)، ترجمة إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب – المغرب، ١٤١١ ه/١٩٩٠ م.

٥٧. **يلمازا أوزطونا:** المدخل إلى التاريخ التركي، ترجمة أرشد الهرمزي، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ه/٢٠٠٥م.

خامسًا: المقالات العلمية:

٥٨. **صبري عبد اللطيف سليم:** قيام القراخطاي في تركستان (٥١٨ه-١٢٣م/٥٣٧ه/١١٤٢م)، العدد السابع عشر، كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، ١٤٢٨ه/٢٠٠٧م.

٥٩. **طارق فتحي سلطان:** الزواج في بلاد الصين من خلال كتب الجغرافية والرحلات العربية الإسلامية في القرون الوسطى، مجلة التربية والعلم، المجلد ١٨، العدد٢، جامعة الموصل، ١٤٣٣ه/٢٠١١م.

٦٠. **لويس شيخو اليسوعي:** المشرق، مجلة كاثوليكية، العدد ١، بيروت – لبنان، د.ت.